

الكشاف

" ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " الضمير في " ليسوا " لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستويين . وقوله : " من أهل الكتاب أمة قائمة " كلام مستأنف لبيان قوله : " ليسوا سواء " كما وقع قوله : " تأمرون بالمعروف " آل عمران : 110 ، بيانا لقوله " كنتم خير أمة " " أمة قائمة " . مستقيمة عادلة من قولك : أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم . وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون ؛ وأدل على حسن صورة أمرهم . وقيل : عن صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها . وعن ابن مسعود B : أخر رسول الله A صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال : " أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية " . وقوله : " يتلون " و " يؤمنون " في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل . ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيزا وكفرهم ببعض الكتب والرسائل دون بعض . ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته . ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مDAHين . ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها . والمسارعة في الخير : فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وبشر الفوز على التراخي " وأولئك " الموصوفون بما وصفوا به " من " جملة " الصالحين " الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثنائه عليهم . ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين " فلن يكفروه " لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر في قوله : " والله شكور حلیم " التغابن : 17 ، في معنى توفيه الثواب نفى عنه نقيض ذلك . فإن قلت : لم عدى إلى مفعولين . وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها ؟ قلت : ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل : فلن تحرموه ؛ بمعنى فلن تحرموا جزاءه . وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء " والله عليم بالمتقين " بشاره للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى .

" مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها مر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون " الصر : الريح الباردة نحو : الصرصر . قال :

لا تعدلن أتاويين تضربهم ... نكباء صر بأصحاب المحلات .

كما قالت ليلي الأخيلية : .

ولم يغلب الخصم الألد ويملاّ ال ... جفان سديفا يوم نكباء صرصر .

فإن قلت : فما معنى قوله : " كمثل ريح فيها صر " ؟ قلت : فيه أوجه : أحدهما أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرّة بمعنى فيها قرّة صر كما تقول : برد بارد على المبالغة . والثاني : أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجاء به على أصله .

والثالث : أن يكون من قوله تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " الأحزاب : 21

، ومن قولك : إن ضيعني فلان ففيه كاف وكافل . قال : .

وفي الرحمن للضعفاء كافي